

المحاضرة السادسة .

3. مدخل المشكلات الاجتماعية و مدخل الانحراف الاجتماعي

لقد حرر التصور الذي قدمه " فولر " و"مايرز" للمشكلات الاجتماعية الباحثين من إصدار أحكام قيمية حول ما إذا كان تفكك اجتماعي أم لا ؟ و بدلا من ذلك حددت المشكلات الاجتماعية في تلك الظروف أو المواقف التي يعتبرها أعضاء المجتمع تهديدا بطريقة ما لقيمتهم و بعبارة أخرى أكثر بساطة فإن المشكلات الاجتماعية هي ما يظن الناس أنها كذلك.

و لكي تكون هناك مشكلة اجتماعية ينبغي توافر شرطان:
أولا. ضرورة وجود ظرف موضوعي بالحجم و المقدار الذي يمكن ملاحظته و قياسه بملاحظة المختصين.

ثانيا. ينبغي أن يكون هناك تعريف ذاتي من خلال بعض أعضاء المجتمع بأن هذا الظرف الموضوعي يعد بمثابة مشكلة.

و هنا قد تلعب القيم دورها لأنه عندما يفهم بأن القيم مهددة لوجود هذا الظرف الموضوعي فإن هذا الظرف يصبح مشكلة اجتماعية. حيث يوجد الفقر في الكثير من المجتمعات بدون أن ينظر إليه باعتباره مشكلة اجتماعية لأن الناس يقبلون الظرف الموضوعي للفقر باعتباره أمرا لا مفر منه و إنما أمرا ضروريا حتى ولو كانوا يفهمون انه ظرف معتادا للإنسان من الناحية الفلسفية .
و عند هذه النقطة يمكن ان يشار الى سؤالين اثنين في الذهن .

الأول. هل يمكن أن توجد هناك ظروف موضوعية تهدد في الواقع المجتمع المحلي أو المجتمع.

الثاني. لا تعد مشكلات اجتماعية يقوم إدراكها على أساس مخادع أو كاذب.
يعد هذا المدخل من اعم و أقدم المداخل التي تناولت دراسة المشكلات الاجتماعية وذلك على حد التعبير على العالم الاجتماعي " هرمان " حيث فرق بين نوعين من الدراسات التي تناولت هذا المدخل .

الأولى. هي تلك الدراسات التي تعالج مجموعة كبيرة من المشكلات الاجتماعية دفعة واحد وهو ما نراه في كثيرة المؤلفات والكتب التي تتناول بالدراسة مجموعة ضخمة من المشكلات الجريمة والخلل العقلي والانتحار... الخ .

الثاني . من تلك الدراسات فهي التي تختص بدراسة نوع واحد من المشكلات دراسة مستفيضة مركز كدراسة الجريمة أو إدمان المخدرات بحيث تشمل كتاب كامل أو مؤلف كبير على دراسة مشكلة واحد فقط.

و يهدف النوع الأول من تلك دراسات إلى إلقاء الضوء على ظاهرة المشكلات الاجتماعية فتدرس كل مشكلة على حدة حيث مدى انتشارها والشكل الذي تأخذه أو الكيفية التي تعبر بها عن نفسها وأسبابها وأثرها على الفرد والمجتمع والوسائل الكفيلة بالسيطرة على تلك المشكلة .

ويهدف النوع الثاني إلى أن يتخذ نفس هذه الخطوات مع التركيز على مشكلة واحدة مما يعطى الدراسة تركيز أكثر.

مميزات هذا الاتجاه ما يلي :

- إبراز حيز المشكلات الاجتماعية ودق ناقوس الخطر منبها إلى وجودها ونبذ الفكرة الشائعة لدى عامة الناس من سهولة المشكلات الاجتماعية وإمكان حلها .
- الفائدة التي تعود على بعض المشتغلين في المجالات المهنية العلمية كالأخصائيين والاجتماعيين من حيث إمدادهم بمعلومات سريعة ومتعدد من المشكلات التي يحاولون التخفيف من أثارها على المجتمع وخاصة في النوع الثاني من الدراسات وإن كانت لا تفيد في إثراء النظرية السوسولوجية أو المعرفة النظرية من ظاهرة المشكلات الاجتماعية .

أما عن مساوئ هذا الاتجاه فهي تنحصر في ميل تلك الدراسات التي تجزئ الظاهرة بمعنى دراسة المشكلة الاجتماعية المعنية، كظاهرة اجتماعية قائمة بذاتها وليس في ضوء علاقتها بالمشكلات الأخرى وبالظواهر الأخرى في المجتمع . أو بمعنى آخر بعدم ربطها بإطار نظري شامل يمكن أن تفسر في ضوءه . و لقد أوضح هرمان أن هناك علاقة متبادلة بين المشكلات جميعا وهذا يتضح مما يلي:
- أن الدراسات والبحوث أوضحت أن هناك عناصر وجوانب مشتركة تساهم في إثارة بعض المشكلات الاجتماعية المختلفة كتفكك الأسر، الطلاق، الجريمة، التمييز العنصري .

- أن التصنيع ونمو المدن له آثار بالغة كأساس لإثارة مجموعة كبيرة من المشكلات التي لا يمكن دراسة مشكلة منها بعيدا من الأخرى.
- أن كثير من الدراسات أوضحت أن أساس المشكلات الاجتماعية يكمن في التغيير الاجتماعي فهو يكون سببا عاما مشتركا لجميع المشكلات .
ولذلك يرى هرمان ضرورة عدم الأخذ بمبدأ التجزئة في دراسة المشكلات الاجتماعية.

4.مدخل الانحراف الاجتماعي

إذا كان مدخل التفكك الاجتماعي يحاول فهم المشكلات الاجتماعية من خلال عملية التغيير الاجتماعي و الانهيار الذي يصيب بعض أجزاء البناء الاجتماعي نتيجة لهذا التغيير حيث يأخذ في اعتباره عدة أبعاد مختلفة كالأفراد الموجودين داخل النسق و القيم الموجهة لهذا النسق و التغيير الذي طرأ عليه و التفكك الذي أصابه و كيف أن هذا التفكك أدى إلى حدوث مشاكل اجتماعية صاحبت النظم الاجتماعية التي ظهرت إلا أن أنصار مدخل الانحراف الشخصي يركزون فقط على الأفراد باعتبارهم أساس وجود المشكلات الاجتماعية حيث أنهم انصرفوا عن معايير المجتمع و قيمه السائدة و هذا الانحراف يتخذ عدة صور منها.

- عدم القدرة على اتباع معايير المجتمع و قيمه السائدة

قد يعجز بعض الأشخاص حسب تكوينهم البيولوجي و الاجتماعي عن التمسك بطريقة توافقية بالمستويات المعيارية المقبولة فهم لا يستطيعون مخالفة المعايير المقررة و إنما يظهرون عدم القدرة على التعليم و إتباع هذه المعايير ف المدمنين مثلا يمكنهم تغيير أنماط سلوكهم المنحرفة و معظم هؤلاء الأفراد كانوا يتمسكون في وقت مبكر في حياتهم بالمعايير التي كان يقررها المجتمع و لكن لأسباب ما اجتماعية أو سيكولوجية لم يستطيعوا التحكم في سلوكهم و خالفوا

توقعات المجتمع بهذا السلوك المنحرف مثل هؤلاء بحاجة إلى رعاية اجتماعية و علاج طبي .

- الفشل في قبول معايير المجتمع و قيمه

حيث أن فشل الأفراد في قبول معايير المجتمع و قيمه السائدة قد يؤدي بهم إلى الانزلاق في ممارسات انحرافية كالغش و الرشوة و خيانة الأمانة و الإساءة إلى سمعة الآخرين و إدمان الخمر و المخدرات ... الخ

مع ملاحظة أن هؤلاء الأفراد لا يعتبرون سلوكهم هذا انحرافا بل هو سلوكا مثاليا من وجهة نظرهم و من ثم فهم لا يشعرون بالذنب العار تجاه هذا السلوك المنحرف و يصف علماء النفس هؤلاء الأفراد بأنهم يعيشون "فوضى أخلاقية" نتيجة لفشلهم في قبول المعايير الاجتماعية كما أن هؤلاء الأفراد غالبا ما ينخرطون في جماعات متطرفة و يندمجون فيها بشكل كبير و تتولد لديهم مشاعر الكراهية و عدم التسامح و الايمان الاعمى... الخ

و تكمن مشكلة الانحراف الشخصي في أن الشخص يتعرض نتيجة للتغيير الذي يحدث في حياته إلى مجموعات مختلفة من المعايير و التي قد يكون متعارضة مع بعضها البعض فقد يكون الفرد منتشيا الى أكثر من مؤسسة كالمؤسسة الدينية الاقتصادية و الترفيحية و السياسية الخ

و قد يكون اشتراكه في احد هذه المؤسسات يتعارض مع مؤسسة أخرى و لكن في الغالب يستطيع الفرد أن يتكيف مع مثل هذه المواقف و يحدث توافق مع أعضاء الجماعات التي ينتمي إليها أما إذا لم يستطع التوافق فهنا فقط يواجه الفرد بمشكلة، و في هذه الحالة يقع الفرد في صراع القيم و المعايير . على أية حال فإن الجماعة التي ينتمي إليها الفرد تحدد بشكل كبير سلوكه و من ثم ينبغي عند تفسير الانحراف الشخصي الرجوع إلى الجماعات المرجعية التي ينتمي إليها الفرد.

فلقد أظهرت النتائج التي أجريت على صور متعددة من أنماط تكمن في عدم قدرة الفرد على المشاركة في العملية الاجتماعية أو الفشل في عملية المشاركة و أنه حينما يفشل الفرد في قبول المعايير وينخرط في السلوك الانحرافي فإننا سوف نجد .

- جماعة أخرى لا تتوافق مع معايير المجتمع ، ويمثل سلوكها انحرافا ظاهرا ، وهذه الجماعة تكون بمثابة المرجع الذي يلجأ إليها هذا الفرد المنحرف .
- ثقافة فرعية منحرفة تتفق مع مبادئه ومعاييرها التي يؤمن بها أو أجبر عليه .
- التهكم المباشر على القيم والمعايير المقبولة في المجتمع بوجه عام ،منها انتهاك قوانين المرور ، التهرب من دفع الضرائب المقررة ، استغلال النفوذ في القيام بأعمال انحرافية . وتحدث مثل هذه الافعال الانحرافية عندما يفشل الافراد في ضبط أو تعديل سلوكهم حسب المعايير المقررة داخل المجتمع ، ومن ثم يخلقون مواقف تتصل مباشرة بظهور المشاكل الاجتماعية